

الرسالة

فقال : فأؤجِدُ نبي هذا خبراً أو شيئاً في معناه ليكون هذا قياساً عليه ؟ .
[ص 361] فقلتُ له : فَرَضَ الْإِسْلَامُ الْجِهَادَ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ثُمَّ أَكَّدَ
الذِّفِيرَ مِنَ الْجِهَادِ فَقَالَ : " إِنْ سَلَّ اللَّهُ اشْتَرَى مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ سَلَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقَاتِلُونَ وَيُقَاتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوَرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِإِيَّائِهِمْ الَّذِينَ بَايَعْتُمْ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) " [التوبة] .

وقال : " وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ سَلَّ اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (36) " [التوبة] .
وقال : " فَأَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
وَاحْصِرُوهُمْ وَأَقْبِعْ دُيُوتَهُمْ كُلًّا مَرَصِدٍ فَلْيَنْ تَابُوا وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلَّاهُمْ سَبِيلَهُمْ إِنْ سَلَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) " [التوبة] .

وقال : " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ " [ص 362]
مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) " [التوبة] .

أخبرنا " عبد العزيز " عن " محمد بن عمرو " عن " أبي سلمة " عن " أبي هريرة " قال
: قال رسول الله : " لَا أَرَا أُمَّةً أَقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
فَإِذَا قَالُوا هَذَا عَصَمُوا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَّا بِحَقِّهَا
وَحِسَابِهَا " (1) .

وقال ابن جرير - ثناؤه - : " مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَتَقَاتِلْتُمْ إِيَّاهُ ؟ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ
الْآخِرَةِ ؟ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)
إِذَا تَنَفَّرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ
وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) " [التوبة] .

وقال : " انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ " [ص 363]
 وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41) " [التوبة] .

قال : فاحتملت الآيات أن يكون الجهاد كلُّهُ والنفيرُ خاصة منه : على كل مُطِيقٍ له لا يَسَعُ أَحَدًا منهم التخلُّف عنه كما كانت الصلوات والحجُّ والزَّكاة فلم يخرج أَحَدٌ وَجَبَ عليه فرضٌ منها مِنْ أَنْ يُؤَدِّيَ غيرُهُ الفرضَ عن نفسه لأنَّ عَمَلَهُ أَحَدٌ في هذا لا يُكْتَبُ لغيره .

واحتملت أن يكون معنى فرضها غيرَ معنى فرض الصلوات وذلك أن يكون قُصْدَ بالفرض فيها قُصْدُ الكفاية فيكونُ مَنْ قام بالكفاية في جهاد مَنْ جُوهِدَ مِنَ المشركين مُدْرِكًا تَأْدِيَةَ الفرض ونافِلَةً الفضل ومُخْرِجًا مَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمَأْثَمِ . ولمْ يُسَوِّيْ (2) بينهما فقال □ : " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " [ص 364] بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَذَلِكَ اللَّهُ الْخُسْدَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95) " [النساء] فأما الظاهر في الآيات فالفَرْضُ على العامَّةِ .

(1) البخاري : كتاب الإيمان / 24 مسلم : كتاب الإيمان / 32 الترمذي : كتاب تفسير القرآن / 3264 النسائي : كتاب تحريم الدم / 3908 .
 (2) هكذا هي بإثبات الياء وقدمنا مراراً أنه جائز